موقفه أمام القاضي ويخاطبه كما يخاطب التلميذ الأستاذ؟[1] أليس عندنا من يدرس الفلسفة ليدعى فيلسوفاً ، ثم لا يكون بينه وبين الفلسفة الصحيحة إلا هوة سحيقة من الجهل والاعوجاج ؟ كم من مئات الحقوقيين قد أثبت له قدراً في عالم القانون ؟ وكم من خريجي التجارة أو الهندسة قد سجل لبلاده فخراً في مجال دراسته الخاصة ؟ إنها إذاً لآفة كبرى يجب علاجها علاجاً علمياً صحيحاً ينحصر فيما يسمي الآن « بالتوجيه المهني ! » ويستطيع الأستاذ في ذلك التوجيه أن يدرس ميول الطالب الحقيقية لا الوهمية أو المصطنعة ، وأن يقدم له النصح والإرشاد على أساس هذه الدراسة يستطيع أن يختبر ذكاءه وميله الأدبي أو الفني أو العلمي باختبارات خاصة يجرونها الآن في أوربا وأمريكا ؛ ويستطيع أن يلاحظه ويدرسه عن كثب طيلة أعوام الدراسة ليضم إلى نتائج هذه الاختبارات درايته الشخصية ؛ ويستطيع أن يقول له أخيراً عليك بالآداب أو الحقوق أو الطب أو الصناعة أو التجارة ، لأنك لا تليق ولا تنبغ ، ولا توفق ولا تسعد ، إلا في ذلك الذي دلتني عليه دراستي العلمية وخبرتي الشخصية ؛ ثم يستطيع باتصاله بذويه أن يسدي لهم النصح في مستقبل ولدهم حتى لا يقفوا عثرة في السبيل كما أراد لي والدي يوماً أن أدرس « التجارة » وأنا لا أهضم « الحساب » على الاطلاق ! ، وأخيراً يستطيع الناظر عملا برأي الأساتذة أن يزود تلميذه بخطاب خاص يحمله كشهادة محترمة لرؤساء المعاهد أو الأعمال التي يريد أن يطرقها كيما يكون « واسطته » فيها . . .

وبذلك وبغيره توجد أعمالا للعاطلين ، وتوفيقاً ونبوغاً للمتعلمين ! . . .

« يتبع » محمد حسن ظاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الاميرية

(١) ويرجع جلوس المثقفين عندنا في القاهى وانحرافهم الخلقي إلى أسباب أهمها أن المدرسة لم تحببهم في العلم للعلم ، وأنهم لم ينشدوا مهتهم عن ميل صحيح فيهم ، وأنهم يئنون في عملهم اليومي ما ينفرهم من الاشتغال في فراغهم بما يفيد ، وهذه الأسباب جديرة بكل إصلاح لأن العمل إذا لم يقم به الانسان وهو محب له كان مصدر شقاء وانحراف لصاحبه ، وترجع أغلب أعمال الموظفين الفاشلة إلى هذا النوع من العمل البغيض

إبراهيم بك المويلحي

١٨٤٤ – ١٩٠٦

بقلم حفيده ابراهيم المويلحي

تتمة ما نشر في العدد الماضي

ثم سافر إبراهيم بك إلى باريس سنة ١٨٨٤ م وحرر العدد الرابع من جريدته « الاتحاد » بعد صمت أربع سنوات وطبع منها أعداداً كثيرة ، وكانت أشد لهجة من أخواتها فاستشاط السلطان غيظاً وحنق على إبراهيم حتى أنه أرسل إلى « أسعد باشا » سفير الدولة العلية في باريس بمذكرة مستعجلة يريد بها إبلاغ رغبته إلى الخديو إسماعيل بأن يأمر سكرتيره « إبراهيم بك » بالكف نهائياً عن إصدار جريدة « الاتحاد » المحررة تحت رعاية سموه

فلما تفاوض « أسعد باشا » مع الخديو أعلمه بأن لا يد له فيها مطلقاً وأنه بريء من تلك الظنون . فما كان من السفير العثماني إلا أن طلب من الحكومة الفرنسية ، بناء على رغبة السلطان ، نفي المترجم له من فرنسا

ولما كان هذا النفي غير مسبوق بأي محاكمة فقد انبرى المسيو بود دي مورسلي Baude de Maurceley يدافع عن إبراهيم ويستنكر وقوع مثل هذا الإجراء ويأخذ على وزير الداخلية الفرنسية تسليم إبراهيم لأسعد باشا بهذه السهولة ، في مقال نشر في حينه في جريدة «الفيجارو» عدد ٣٣١ سنة ١٨٨٤ م اختتمه بقوله : « إني أسأل بصراحة المسيو ولدك روسو Waldack Rousseau عن الضرر الذي يسببه وجود إبراهيم بك في باريس . — أم هل فقد بلدنا الجمهوري « حق الاقامة » فيه وأضحى غير قادر على منح الضمان الكافي للمحكوم عليهم سياسياً ! وإلا فما هو الأمان الذي يمكن أن يجده عندنا كل غريب فقد حق التمتع بمصالح بلده ؟ ألا يظن حضرة وزير الداخلية أنه من السذاجة أن ننال بسهولة وبدون محاكمة إبعاد محق فرنسي غير راض عن سياستنا الحالية من استانبول أو لندرة مثلاً ، لأنه يصدر جريدة عدائية هناك ؟ ! »

إن القبض على إبراهيم بك ونفيه بدون محاكمة لا يعد فقط عملاً استبدادياً ، بل أمراً منكراً ربما استحق الاستجواب عنه فى البرلمان »

فلما رأى إبراهيم بك نفسه مرغماً على ترك فرنسا بأمر السلطان ، سافر تواً إلى « بروكسيل » فكتب إليه السيد جمال الدين الأفغانى لما كان بينهما من روابط الصداقة أيام كانا فى مصر ، يشير عليه بالتوجه إلى لندرة ليتحدا فى الدفاع عن حقوق الأمة ونصرة الدين . فاستصوب إبراهيم هذه الفكرة ولاسيما أنه كان غيوراً على دينه ، شديد الحب لوطنه . فأبحر إلى « لندرة » وتسنى له التعرف هناك باللورد تشرشيل واللورد سالسبورى وأخذ يعاون السيد جمال الدين فى تحرير « العروة الوثقى » وأنشأ لنفسه جريدة « الأنباء » ثم « عين زبيدة » وأفاض فيهما ولاء خالصاً للسلطان ، وأظهر حرصاً على صيانة الدولة بانتقاده الشديد لسياسة غلادستون نحو الدولة العلية فى ذاك الوقت

وبلغ مسامع السلطان عبد الحميد أمر هاتين الجريدتين فسر من خطة إبرهيم هذه وأرسل إليه يستقدمه بواسطة سفيره فى لندرة

ولما كان إبراهيم بك لا يتوقع هذا العفو السريع سنة ١٣٠٣ هـ — ١٨٨٥ م ظن أنها مكيدة من السلطان ليتمكن بها من الانتقام منه ، فامتنع عن الذهاب إليه ، وكلف ابنه السيد محمد بك الوبلحى — الذى كان بصحبته فى انجلترا — السفر إلى استانبول ليستطلع جلية الأمر

فتوجه محمد بك إلى الآستانة عن رغبة والده ، وأرسل إليه خطاباً يطمئنه فيه من جهة السلطان

فدخل إبرهيم بك الآستانة وكتب إلى جلالة السلطان الخطاب الآتى يشكره فيه على عفوه عنه ويعتذر عن تأخره فى المثول بين يدى جلالته : « المعروض على سدة أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، أن العبد لا يصف عفو أمير المؤمنين إلا كما قيل لأخ جلالتكم فى الخلافة المعتصم العباسى : « لو علم الناس ما تجدون من اللذة فى العفو لتقربوا إليكم بالذنوب » . والحمد لله على تلك النعمة التى أسداها أمير المؤمنين لعبده الصادق . وإنما كان تأخيرى عن التشرف بسدة الخلافة لأمور هامة فى فائدة الدولة والملة قد تم بعضها . وإنى ألتمس أن أعرضها على ذات مولانا المقدسة حفظها الله للإسلام »

وبعد أيام طلب السلطان مثوله بين يديه ، فأكرم مقابلته وعينه عضواً فى مجلس « المجمن المعارف » سنة ١٣٠٣ هـ — ١٨٨٥ م . وكان ناظرها وقتئذ العالم الجليل المغفور له صاحب الدولة منيف باشا ، فقدر إبرهيم حق قدره ، وقربه إليه وعرفه بالشيخ الشنقيطى اللغوى الشهير

وتصادق المترجم له مع إبرهيم بك أدهم صاحب جريدة « الحقائق » التى كانت تصدر فى استانبول ، فكان ينشر فيها وصف جلال الموكب السلطانى فى كل مرة يذهب فيها لتأدية فريضة الجمعة

ومكث إبرهيم بك فى وظيفته هذه عشر سنوات تقريباً من سنة ١٨٨٥ هـ — ١٨٩٥ م . حدث فى أثنائها أن كتب بعض الجواسيس إلى السلطان عبد الحميد تقريراً جاء فيه أن إبراهيم بك لا يزال يراسل الجرائد فى مصر خفية بما لا يتفق وسياسة السلطان ! فما كان من جلالته إلا أن أرسل إلى صاحب العطوفة « كامل بك » ناظر الضبطية لاستجواب صاحب الترجمة والتحقيق معه فيما وصل إلى السلطان

ولقد كان هذا الجاسوس صادقاً فى تقريره . وهكذا كانت خطة إبرهيم بك فى جميع مراحل حياته السياسية لا يعرف التملق ولا التزلف ، ولم تحِده تلك الرتب والإنعامات الشاهانية عن طريقته المثلى فى حبه لمصلحة البلاد والدفاع عنها وانتصاره لها

وقد رأى شطط السياسة من جراء ما يزينه الملتفون حول عرش جلالته ، فأخذ ينشر مقالاته الانتقادية فى المقطم ، وكان يذيلها بأمضائه المستعار : « أحد العثمانيين الأفاضل »

وكان إبرهيم بك فى اليوم الذى قبض عليه فيه يحمل مسودة مقالة كان يريد نشرها ، فأسقط فى يده وأخذ يجهد فكره فى التخلص منها بأية وسيلة ! واتفق أن كان الناظر فى هذه الساعة مشغولا بتحقيقات أخرى — وما أكثر التحقيقات فى الآستانة — فأمر بأبقائه فى غرفة تجاور غرفة التحقيق ريثما ينتهى من استجواب الذين بين يديه

ففكر إبرهيم بك ، وهو المنعزل فى الغرفة ، أن يتخلص من

المقلة التي فى جيبه خشية تفتيشه ، فهم بحرقها ، فحدثته نفسه أن رائحة الدخان قد تبعث الشك فى إدانته ، كما خشى تمزيقها خوف وصول بعض وريقاتها إلى يد بعض الجواسيس المنتشرين بدار الضبطية . وبينا هو فى شغل شاغل إذ سمع صياح ديك فنظر حوله فرأى نافذة صغيرة بحواجز حديدية ، ففتح زجاجها وأطل من بين قضبان النافذة فرأى ذلك الديك وحوله أفراخ كثيرة ينقرن فى الأرض بحثاً عن القوت ؛ فما كان منه إلا أن أخذ يقطع الورقة قطعاً صغيرة ويضعها فى فمه حتى تمتزج بلعابه فيمضغها حتى تصير على شكل الحب ثم يرمى بها إلى الأفراخ فتتسابق إلى ابتلاعها حتى أتت على آخرها ، وأغلق النافذة وحمد الله

وبعد ساعة تقريباً اقتيد إبرهيم بك إلى غرفة التحقيق وابتدىء بتفتيشه فلم يعثروا على شىء ، وبعد مناقشات طويلة أسفر التحقيق عن براءته مما جاء فى تقرير الجاسوس ، وطير الخبر إلى جلالة السلطان فأمر باستدعائه إلى « السابين » ، وأنعم عليه بالرتبة الأولى من الصنف الثاني سنة ١٣١١ هـ — ١٨٩٣ م . وصاحبها يلقب « بسعادتلو أفندم » وهى توازى رتبة الميرميران الملكية التى يلقب صاحبها بلقب « باشا »

وفى نفس هذه السنة قدم الخديو « عباس الثانى » ومعه بعض الوجهاء من المصريين لزيارة الآستانة والتشرف بمقابلة جلالة السلطان « لعرض الشكر والعبودية على أعتاب الخلافة السنية » فرأى ابراهيم بك من واجبه كمصرى مقيم فى استانبول أن يتشرف بمقابلة سمو الخديو عباس ، فذهب إلى القصر الكائن « بدفتر دار برونى » الذى يقيم فيه سموه ، ولكن « محمود باشا شكرى » أشار على سمو الخديو عباس باشا الثانى لشيء فى نفسه من جهة إبراهيم أن يمتنع عن مقابلته تجنباً لخطره وسطوة قلمه . فسوّف الخديو تحت هذا التأثير مقابلة إبراهيم الذى خرج حانقاً والشرر يتطاير من عينيه !

ولما كان يعلم أن جلالة السلطان سيدعو سمو الخديو والوفد الذى جاء معه إلى سراى « يلدز » مرت بخاطره فكرة جهنمية يستطيع بها تحريك غضب عبد الحميد عليهم أجمعين ! فحرر عريضة من تلقاء نفسه اختلقها اختلاقاً ، كأن هؤلاء الوجهاء يرومون رفعها إلى الأعتاب الشاهانية وبعث بها إلى المقطم فنشرها ، والتقطتها التلغرافات الأجنبية وترجمتها الصحف الإنجليزية وعلقت عليها ما شاءت أن تعلق ، وذهب سفير انجلترا فى تركيا بأمر من رئيس الوزارة الانجليزية إلى الصدر الأعظم ليستفسر عما أجاب به السلطان على هذه العريضة التى قد تسبب توتر العلاقات بين بريطانيا العظمى والدولة العلية

فحدث من جراء هذه العريضة أن امتنع السلطان عن الإنعامات التى كان يرغب فى الإنعام بها على من كان بمعية سمو الخديو كما هى العادة فى مثل هذه الظروف ، إرضاء لخاطر انجلترا — حتى لا تعتقد أن لهذه العريضة أثراً فى نفسه

وإليك صورة هذه العريضة بعد ديباجة الحمد والثناء :

« إن الله عز وجل نظر إلى العالم نظرة رحمة فاختارك يا أمير المؤمنين من بين البرية خليفة على عباده ، وجمع فيك شرائط الخلافة وبسط لك من القوة والسطوة ، وآتاك من الحزم والعزم وأصالة الرأى ما يفتخر به هذا العصر على سائر الأعصار ، وقرن طاعتك بطاعته وطاعة نبيه فى كتابه العزيز ، وجعل حبك إيماناً والخروج عن أمرك مروقاً من الدين ، وحبب إليك الإقدام لمصلحة الإسلام . دأب الخلفاء السابقين ، وأودع فى يديك أرواح المسلمين — وأموالهم تحكم فيها عن رضى وتسليم منهم . وقد عاهدوك على بذل دمائهم فى طاعتك بأيمان البيعة التى ربط الله بها لك القلوب على المحبة فى خلواتها ونجواها

فالمسلمون كلهم قاصيهم ودانيهم مجمعون على الانقياد لك فى السر والعلانية لا يميل بهم عن هذه السنن قول ولا فعل لتوقف سعادتهم على طاعتك فى الدنيا والآخرة

هذا ما جعل الله لك يا أمير المؤمنين ، وقد جعل لهم بهذا من جانب جلالتك أن تكلأ بيقظاتك بلاد الاسلام بعيدها وقريبها من طوارق السوء وغوائل الشر على نسق واحد لا فرق بين مطلقها وممتازها ، وأن تدفع عنها كل سائل ومحتال ، وأن — تذود عنها بالحجة والسيف والقلم وما يمكن أن يدافع به ماديًّا ومعنويًّا

هذه مصر — أيد الله بك مقام الخلافة ، وثبت بك أركان السلطنة ، ونصرك النصر الوشيك — فريدة التاج العثماني ، والقسم الأكبر من السلطنة السنية والطريق الأعظم إلى الحرمين الشريفين . قد أصبحت تمديد الفزع الصارخ إلى عظمتك ؛ وتنظر كالمغشى عليه من الموت إلى حياتها فى يدك الكريمة ؛ فامنن

عليها بالحياة يا أمير المؤمنين ، وخلصها ممن تجاسر على حوزة الإسلام بلا حجة ولا قوة ، وفى يد جلالتك الحجة والقوة ، وهذه أرواحنا رهينة ثلاثه أحرف من عظمتك ، فأمرنا بما تريد لنخلص الاسلام المتخبط فى تلك الأشراك . وقد بقينا يا أمير المؤمنين سنين عدة معلقين لا ندرى أنحن تحت حكم الخلافة والسلطنة السنية فتطمئن قلوبنا ، أم تحت حكم هذا الذى دخل فى يوم على وعد أن يخرج فى غده فبقى إلى الآن تخفق رايته على مساجد المسلمين فى بلد هى عش الأولياء ومرقد آل البيت النبوى ومجد جدك السلطان سليم خان ؛ فطفق هذا الداخل يستهوينا باسم الحرية التى لا توافق قيودنا الدينية ولا عاداتنا الأدبية فمال إليه جماعة منا ، ويوشك إن استمر فى سيره أن يفسد الحاسيات والأخلاق بهذا التساوى المخالف للتفضيل الإلهى

فالآن قد وفدنا على دار الخلافة مع سمو وكيلك المطبوع على محبة جلالتك ، المفتخر بنظرات الرضى عليه من ألطاف عظمتك ، الواقف موقف السمع والطاعة لأوامرك ، راجين من السدة السنية إجراء الوسائط الفعالة لإخراج هذا الداخل على وطننا وإبعاده عن الأراضى المقدسة التى يدأبون على التدخل فيها ، فانهم إذا استمروا — لا قدر الله — فى البقاء بمصر سهل عليهم الدخول فيها وفى غيرها لطبيعة الموقع

ونسأل الله أن يؤيد جلالة مولانا الخليفة الأعظم وينصره على الباغين »

وفى أوائل سنة ١٨٩٥ م سئم العيشة فى جو استانبول المكتظ بالجواسيس المختنق بالفتن والوشايات وشمر بالحنين إلى وطنه بعد طول الغربة . فعزم على الرحيل إلى مصر ودبر طريقة سفره فى الخفاء على باخرة بخارية قادته إلى الاسكندرية

ولما علم جلالة السلطان عبد الحميد بخبر اختفائه وسفره إلى مصر بدون أن يقدم استقالته ، بعث يستعلم بواسطة « مختار باشا » المندوب فوق العادة للباب العالى عن السبب الذى جعل ابراهيم بك يترك وظيفته فى « أنجمن المعارف »

فأبدى إبراهيم أسفه لمختار باشا وأفهمه أن قدومه إلى مصر إنما هو من باب الحنين إلى الوطن والشوق إلى رؤية ابنيه « محمد » و « خليل » ، وأنه لا يدرى كيف يشكر السلطان على نعمه

ولما كان ابراهيم بك مشغوفا بالتحرير أخذ ينشر فى القطم من وقت إلى آخر مقالته الانتقادية فيما رآه فى الآستانة العلية مدة إقامته فيه تحت عنوان « ما هنالك » ثم جمعها وطبعها كتابا سنة ١٨٩٦ ميلادية . فبعث السلطان عبد الحميد بأمره بارسال جميع النسخ التى فى حيازته إلى « المابين » ! فخضع ابراهيم لأمر جلالته وأرسلها جميعاً إليه ماعدا بضع نسخ كان قد وزعها على عائلته وأصدقائه . لذلك يندر وجوده

وفى سنة ١٨٩٨ م أنشأ جريدة أسبوعية سماها « مصباح الشرق » وقفها على خدمة الأدب ونصرة الدين والدفاع عن حقوق الدولة العلية . وكان يعاونه فى تحريرها ابنه السيد محمد بك المويلحي . وكان طلاب الأزهر يقفون على باب المطبعة الساعات الطويلة ينتظرون صدور أعدادها بفارغ الصبر ، وكانت تباع بقرش صاغ واحد ، وكان يعز مطلبها فى اليوم الثانى من صدورها حتى كانت تشترى بخمسة قروش

وكان ابراهيم بك يسافر من وقت إلى آخر للآستانة لعرض ولائه على الأعتاب الشاهانية ، وليتسنى له الاطلاع بنفسه على ما فى الجو السياسى من أخبار ، فكان فى كل مرة يعود مثقلا بالانعامات والعطايا حتى نال « الرتبة الأولى من الصنف الأول » وصاحبها يلقب « بسعادتلو أفندم حضرتلرى » وهى توازى رتبة « روم ايلى بكاربكى » الملكية . لكنها تتقدم عليها فى التشريفات

وقد نال حظوة عليا لدى حضرة صاحب السمو الخديو عباس الثاني حتى إنه كثيراً ما كان يكلفه بأعمال سياسية هامة ، فكان يقوم بها خير قيام فنال بذلك ثقته . ولم يقف دون رغبة سموه إلا مرة واحدة غضب عليه فيها بضعة أشهر ثم رضى عنه فكتب إليه الخطاب الآتى :

« قد وضعنى ولى النعمة فى بودقة الامتحان وأوقد علىّ بنار غضبه زماناً طويلا كما اقتضته حكمته ، حتى إذا صفانى وخاف على أن أحترق نقلنى كما اقتضته رحمته وسمته . فأشكر ولى النعم شكرين : شكراً على تصفيتى وتهذيبى ، وشكراً على رضاه عنى

وقد بعث الله لنبيه الملكين جبريل وميكائيل فشقا صدره صلى الله عليه وسلم ، وأخرجا ما يكون بناموس الطبيعة فى قلوب البشر ، ثم ختماه على الحكمة . وكذلك فعل ولى النعم : بعث

إلى عبده [1] فأصبح قلبي مختوما عليه بطابع الإخلاص والقيام بفروض الخدمة لدرجة التفاني فيهـا . فلو ذوبوني لم يجدوا في تركيب صدري إلا ثلاثة أشياء : الوفاء والدعاء والولاء ، لولي النعماء

كل هذا انتهى وتم على موجب الحكمة العالية حكمة ولي النعم الذي اعتنى بتربية عبيده على هذا الأسلوب الحكيم .

فخدمة الأعتاب السنية هي قبلتي التي أوجه وجهي إليها ، وأصرف عزمي إليها . وهذا اعتقادي وهذا قولي وهذا خطي على ذلك والله شاهد ووكيل »

وفي سنة ١٩٠٣ كف عن إصدار الجريدة فجأة ! وهكذا كان إبراهيم بك يعطل كل جريدة ينشئها إذا نال منها غرضه

وكان يرسل في بعض الأحيان بمقالاته السياسية إلى بعض الجرائد كالمؤيد والمقطم عندما كان يرى أن حقاً للأمة هضم

ثم أنشأ جريدة « المشكاة » باسم ابنة « السيد خليل بك المويلحي » و « حمدي بك يكن » ولم يصدر منها إلا أربعة أعداد فقط سنة ١٩٠٥ . وفي أواخر سنة ١٩٠٥ اعتلت صحته فاعتزل السياسة ليعالج مرضه حتى وافته المنية في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦

* * *

ولقد كان المرحوم سريع الخاطر ، طيب اللسان ، شديد الميل إلى النقد والمداعبة لا يفرق في ذلك بين قريب أو صديق حتى قيل فيه : « لم ينج من قوارص قلمه إلا الذي لم يعرفه »

وكان سريع الفهم ، قوي الاحاطة بخفايا الأمور ، وغوامض السياسة ، ولقد تقلب في أعمال كثيرة بين تجارية وحكومية وصحافية وسياسية ، لكنه لم يبلغ الهدف الذي كان يرمي إليه في كل واحد منها مع شدة ذكائه وحدة ذهنه . ولعل السبب في عدم ثباته هذا يرجع إلى طموحه إلى النجاح السريع ورغبته في بلوغ الدرجات العلى طفرة واحدة ، فانه لو ثبت في عمل واحد لبلغ أوجه

ويجمل بنا أن نقول قبل أن نختم ترجمته إنه كان مشغوفاً بتعلم اللغات الأجنبية حتى حذق التركية ومهر في الفرنسية وتعلم الانجليزية في آخر سني حياته عليه رحمة الله

ابراهيم المويلحي

(١) هو أحمد بك العريس

أبي ! !

للأديبة بهية فرج الله زكي

أبي ! سلاماً من وراء دجلة ! سلاماً عليك من قلب وحيدتك ! سلاماً من قلب جريح ! سلاماً على الروح السابح في لجة الأبد ، سلاماً على الجسد الهامد في التراب !

أبي ! لقد مات أبي ، وطار البرق الحزين ينعى بقيـة الأمل إلى القلب الحزين .. مات أبي ، وفي مصر خمدت جذوة حياته الذاكية ، فانطفأ في العراق مصباح رجائي المشتعل .. مات ، وقد كان وهو حي رسول البسمات إلى الثغور ، فأصبح وقد مات رسول الدموع إلى العيون

أبي ! حتى في ساعة الموت لا أراك ! وفي سـاعة الوداع لا أطبع على جبينك القبلات ، وفي سـاعة الرحيل إلى المثوى البعيد ، يحول دوني ودونك البحر المائج والبلد السحيق !

أبي ! يا مني النفس ، ويا روحا ضاقت بهـا حدود الأرض فطلبت فسحة الحياة في السماء . لماذا استسلمت للكرى فنمت نوم الأبد ؟ لماذا تركتني وحيدة وكنت بك جماً لا يخذل . . صوتي يملأ الفضاء ، وتجاوب أصداءه الأرض والسماء . ولكني لا أسمع جواباً ، فأين أبي ؟

أبي ! كنت تستلهم السماء خبر الغيب ، فهل قرأت في لوح الأجل موعد هجرتك من دنياك الفانية إلى عقباك الباقيـة ، فبكيت حين تحرك بي القطار ، وأنت الرجل الجلد الذي يسخر بالعواصف ، وجريت مع القطار وأنت الرجل الرزين الذي تخضع جوارحك أبداً لعقلك الكبير ، وأتبعتني النظر الحائر وما حيرك الدهر المضطرب بالحادثات ... بلى لقد أحسست بالموت فكتمت سر الموت عن الأحياء

أبي ! لأنك تحب العراق آثرت الرحيل إلى العراق ؛ البلد الذي لم تبخل عليه بفلذة كبدك ، البلد الذي خلت فيـه حياة خصيبة لأملك الروحي ... فلماذا تركتني في وطن قلبك ونزحت أنت إلى وطن الخلود